القاهرة تنفق مليارات الدولارات كل سنة في بناء قوتها العسكرية.. تدعم حماس وتغرق الضفة والقطاع بالسلاح

سلوك مصر تجاه تل ابيب يقتضي فحصا جديدا بعد 25 سنة من زيارة السادات الى اسرائيل

ايهود اولمرت

انور السادات

ياسر عرفات

حسني مبارك

ان سلوك مصر في سيناء وفي محور صلاح الدين، الذي يُمكّن من تسلح المنظمات الارهابية تسلحا واسعا، يقتضي فحصا جديدا عن سياسة شيخ مصر في ثلاثة مجالات: العملية السلمية، وحماس والارهاب وتعاظمها العسكري.

في الاشهر الماضية، اقتنع كثيرون بأن القصد الحقيقي لمصر هو ترك الاسرائيليين والفلسطينيين ينزفون معا. ابتدأت تظهر شكوك في هذا الاتجاه عند مقرري السياسات في واشنطن في سنة 2000، بعد فشل قمة كامب ديفيد ونشوب الانتفاضة.

في ذلك المؤتمر، كما تذكرون، أعد رئيس الحكومة، ايهود باراك، «مفاجأة استراتيجية»: اقتراحه تقسيم القدس، وفي ضمنها البلدة القديمة، في قصد الى إذهال ياسر عرفات ودفعه الى التوقيع على اتفاق سلام. ظن باراك ان عرفات سيصعب عليه الثبات لاغراء انجاز تاريخي ـ عاصمة فلسطينية في شرقي القدس ـ وسيوقع على انهاء النزاع.

لكن آنذاك ابتدأ يُسمع صوت المعارضة، لا من قبل «جبهة الرفض» على التخصيص. بادر رئيس مصر، حسني مبارك، الى التحذير في التلفاز من أنه ليس من صلاحية عرفات ان يقرر في شأن القدس، لأن البلدة القديمة تعود لجميع العرب والمسلمين وسيكون تقسيمها بمنزلة خيانة. سبب تدخل مبارك في اللحظات الحاسمة للمؤتمر على نحو نادر جعل وزيرة الخارجية الامريكية في تلك الايام، مادلين اولبرايت، تشكو علنا من «إسهامه» في جهود السلام.

يجب ان نضيف الى إفشال كامب ديفيد سلوك مصر الغريب المتصل بالعملية السلمية بين اسرائيل والاردن. اعتاد المصريون لسنين الشكوى من عزلتهم في العالم العربي بسبب اتفاق السلام مع اسرائيل. كان هذا ايضا التفسير الذي أعطي لقضية مقاطعة مبارك لزيارات رسمية لاسرائيل ولقضية السلام البارد، الذي سيسخن، كما وُعد، اذا ما انضمت الى الدائرة دول اخرى. ماذا كانت صلة مصر اذا بالعملية السياسية مع الاردن؟ يتبين أنه لفرط الحماسة للخروج من العزلة، استعملت مصر ضغوطا شديدة على الملك الراحل حسين على التخصيص من اجل أن يكف عن التوقيع على الاتفاق المأمول مع اسرائيل، بل ان مصر لم تمتنع عن ارسال مفوضية مناسبة لمراسم التوقيع في العربة، فضل مبارك الذي دُعي إليها البقاء في القاهرة.

تم الكشف عن نفس نمط السلوك ايضا في العلاقة بجهود اسحق رابين للتوصل الى علاقات دبلوماسية تامة مع قطر والمغرب. نجح المصريون بما خيب أمل رابين في تعويق توقيع الاتفاقات مع هذه الدول في الدقيقة التسعين تماما. يمكن بالطبع أن نبحث وأن نجد تفسيرات دقيقة لتصرف مصر في كل حالة وحالة، ولكن عندما ننظر في الجملة، الصورة التي تظهر هي صورة استراتيجية مصرية تخالف سياستها المعلنة عن تقديم السلام الاقليمي.

ما هي علاقة مصر الحقيقية بالسلطة الفلسطينية والمنظمات الارهابية في المناطق؟ ان أكثر السلاح والذخيرة اللذين يصلان حماس في غزة، وسائر المنظمات الارهابية ايضا، يُنقلان عن طريق الارض السيادية لمصر. من المواضعات انه اذا امتنعت دولة ما عن فعل كل ما تملك من اجل منع تهريب السلاح الى المنظمات الارهابية، فان الامر يعني تأييدا صامتا للارهاب.

في السنة الماضية ازداد معدل التهريبات من مصر الى أن وصل على حسب «الشاباك» الى أكثر من عشرين ألف بندقية في السنة، وملايين الرصاصات، ومئات صواريخ آر.بي.جي المضادة للدبابات، وعشرات الأطنان من المواد المتفجرة الموافقة للمعايير وكذلك ـ معدات تستطيع أن تكفي لتسليح عدد من وحدات فرق المشاة في السنة. من اجل الموازنة، فان الدولة الثانية التي يوجد لها اتفاق سلام مع اسرائيل، وهي الاردن، أكثر حزما في نشاطها المضاد للتهريب، والنتائج موافقة لذلك.

بخلاف الانطباع المحصول عليه، ما يُحتاج اليه من مصر لكي تكف التهريبات ليس صراعا على الأنفاق في محور صلاح الدين. الشيء الأهم، والأسهل للتنفيذ، هو اقامة نقاط تفتيش على الشوارع والطرق الترابية المعدودة التي تفضي الى منطقة رفح، وتعويق قوافل السلاح والذخيرة في أقرب وقت. ان القادرين على الكشف عن مشط ذخيرة قديم نُسي في مركب متنزهين اسرائيليين في معبر طابا ـ يستطيعون ان يكشفوا عن مئات البنادق أو عشرات الصواريخ التي تُنقل في السيارات في الاتجاه المعاكس. وشيء آخر يجب على المصريين فعله هو اعتقال رؤساء المهربين في العريش وفي القاهرة وزجهم في السجن، وكذلك تحطيم شبكات المهربين، كما فعل الاردنيون بالضبط.

ويوجد بالطبع ايضا المجال الدبلوماسي. عندما يُدعى خالد مشعل ورفاقه مرة بعد مرة الى لقاءات مع وزراء مصريين في القاهرة، فان الحديث عن نوع من التعزيز الدبلوماسي الحيوي لحماس لا في وجه اسرائيل فقط بل في وجه فتح وأبو مازن ايضا. كانت الحال كذلك ايضا قبل نحو سنتين، عندما حاول المصريون احراز الـ «هدنة». كان اقتراحهم أنه في مقابل وقف اطلاق النار المؤقت سيُعطى التزام تاريخي لعدم اخضاع حماس بالقوة أو تجريدها من سلاحها.

ان الدفاع المصري الخفي عن حماس في وجه السلطة الفلسطينية وفتح بدأ في فترة عرفات. في نيسان (ابريل) 1996، قبيل الانتخابات بين بيريس ونتنياهو، ضغط رئيس الولايات المتحدة بيل كلينتون على عرفات ليكافح الارهاب. كانت هذه المرة الوحيدة التي أمر فيها عرفات الجنرال نصر يوسف باستعمال القوة في وجه نشطاء حماس في غزة، وهو ما أفضى الى اعتقالات كثيرة، وعدد من القتلى، واغلاق مساجد. حرص المصريون على ان يقولوا في هذه القضية شيئين: الاول، وُجه الى مسامع كلينتون وكان ان «عرفات يجب عليه العمل لوقف العمليات». والثاني، وُجه الى مسامع عرفات وأبو مازن وهو أن «على الفلسطينيين ان يمتنعوا عن حرب أهلية». الرسالة في هذا القول واضحة: لا تعالجوا حماس كما عالجنا الاخوان المسلمين في مصر.

في واقع الأمر، الحديث ليس عن ظاهرة موجهة الى اسرائيل فقط. لا يتجاوز سلوك مصر معايير اقليمية معمولا بها: فهكذا تشجع سورية منذ سنين ارهاب حزب الله ومنظمات اخرى مضادة للبنان، والارهاب الكردي لجبهة «بي.كي.كي» المضادة لتركيا والارهاب الداخلي في الاردن والعراق، وكذلك شجعت عراق صدام حسين الارهاب السني في سورية، والارهاب الفلسطيني في الاردن، والارهاب الشيوعي والكردي في ايران.

يبدو ان الزعم المقابل الذي يتمسك به محللون كثيرون في الجماعة الاستخبارية وفي الاعلام وهو ان مصر ممتنعة قبلياً عن دعم حماس لانها تخاف الارهاب الاسلامي عندها في الداخل ليس له ما يقوم عليه. يُبين التاريخ انه يمكن قمع الاخوان المسلمين في مصر وتشجيع اخوتهم في الآن نفسه في فلسطين، كما كان يمكن لعراق صدام حسين ان تطارد الأكراد بوحشية داخلها وفي الوقت نفسه ان تسلح الأكراد في ايران، والعكس. تميل دول الشرق الاوسط الى الاعتقاد (وبحق) ان استعمال الارهاب أو الدس على جاراتها لا يوجد لهما تأثير مباشر فيما يحدث داخلها.

لماذا تتصرف مصر اذا كما تتصرف؟ يبدو أن سياستها المتصلة بحماس تريد احراز عدد من النتائج. أولها وأوضحها استنزاف اسرائيل لسنين، واضعافها. ان تسلح الفلسطينيين الكثيف في السنة الأخيرة يهدف الى التمكين من اقامة جهاز في غزة على نحو يشبه حزب الله في لبنان، وهو شيء يفترض أن يُثقل على اسرائيل في حالة اشتعال اقليمي.

ونتيجة مأمولة اخرى هي تفتيت نزع السلاح في شرقي سيناء. يعتقد المصريون أن زيادة التهريبات وسوء الوضع في أعقاب ذلك سيثبتان أهمية اعادة السيطرة العسكرية المصرية في شرقي سيناء، ومن هنا تأتي المطالبة بتغيير اتفاقات السلام في هذا الاتجاه ـ كما حدث بالفعل على نطاق أضيق في اتفاق فيلادلفيا.

هناك موضوع آخر يجب البحث فيه هو تعاظم مصر عسكريا. لا يهدد مصر أي تهديد وجودي، ولا حتى نزاع حدودي متأجج مع جاراتها. على أية حال، امتلكت مصر من جملة ما امتلكت بفضل المساعدة العسكرية الامريكية، تفوقا عسكريا تقليديا مثيرا للانطباع على كل دولة عربية أو افريقية اخرى.

التفسير السائد في الدوائر الاستخبارية، كما في الاعلام، لاستمرار تعاظم مصر هو أن مصر ما تزال تشعر بتهديد اسرائيل. هذا تفسير غامض. يعلم كل ذي عقل، أن اسرائيل اذا تخلت عن شبه جزيرة سيناء كلها وفي ضمن ذلك حقول النفط الغنية فيها من اجل السلام والاستقرار، فانها لا تنوي العودة الى المحاربة لاحتلال الارض من غير سبب ما. رغم ذلك، تواصل دولة فقيرة مثل مصر إنفاق مليارات الدولارات كل سنة في بناء قوتها العسكرية. اليوم، بعد 25 سنة من تعاظم مثير للانطباع، بلغت الى توازن كمي مع اسرائيل في عدد من المجالات، وفي مجالات اخرى خلفتها تعدو في آثارها. عدد الطائرات الحربية العصرية لسلاح الجو المصري، وأكثرها طائرات اف 16 امريكية، يشبه عددها في سلاح الجو الاسرائيلي، أما في عدد الدبابات الغربية، والمدافع، وبطاريات الصواريخ المضادة للطائرات، والسفن الحربية، فانها تتفوق بنسبة كبيرة على ما يملك الجيش الاسرائيلي.

منذ السلام الى اليوم استطاعت مصر ان تحصل من الولايات المتحدة على نحو 40 مليار دولار كمساعدة عسكرية. وفي الحقيقة ان المساعدة لاسرائيل كانت أعلى قليلا، بيد ان اسرائيل بخلاف جارتها الجنوبية لم تستطع توجيه جميع مواردها لزيادة قوتها في وجه مصر. لقد اضطرت في ذلك الوقت الى انفاق موارد كبيرة في وجه سورية والعراق، وفي مواجهة الفلسطينيين وحزب الله في شمالي البلاد، وفي مواجهة الارهاب الفلسطيني في قلب الدولة. يتعلق تطور مقلق آخر بالتمرينات العسكرية. ابتداء من 1996، بعد نحو ثلاث سنين من دفع اتفاق اوسلو الى الأمام، تُجرى أكثر التمرينات العسكرية في مصر كتمثيل على حرب مع اسرائيل. لاول مرة في ذلك الوقت أُضيف الى عنوان التمرين السنوي التلخيصي للجيش المصري، المسمى «تمرين بدر»، وهو عنوان ثانوي عُرف أنه «تمرين حربي في مواجهة دولة صغيرة في شمال شرق مصر» (منذ ذلك الحين ما زلت أُفكر هل يوجد لمصر شيء في مواجهة لبنان).

وفي النهاية، لا يمكن ألا نذكر ايضا قضية التربية المضادة لاسرائيل، والتحريض الشديد في وسائل الاعلام. بعد نحو ثلاثين سنة من زيارة السادات ما يزال تلاميذ مصر ينشأون على معرفة أن اسرائيل مصدر الشر في المنطقة كلها. في أكثر الخرائط في الكتب التدريسية ليس ما يشار اليه شرقي مصر هو «اسرائيل» بل «فلسطين». في الاعلام المصري ايضا تهب رياح سلب اسرائيل حقها في الوجود كدولة يهودية. ويوجد بالطبع التحريض المعادي للسامية ايضا.

قبل نحو سنتين، مع انقضاء مؤتمر شرم الشيخ، عقد رئيسا الولايات المتحدة ومصر مؤتمرا صحافيا ومن ورائهما شاطىء بحر سيناء. تحدث بوش أن واجب الدول العربية ان تعمل لوقف التحريض على اسرائيل، والغرب والشعب اليهودي. في البث المباشر في التلفاز ظهر مبارك يهز رأسه علامة الموافقة، بيد ان مواطني مصر رأوا شيئا آخر، لانه في الوقت نفسه بث التلفاز الرسمي حلقة اخرى من برنامج تلفازي يقوم على بروتوكولات حكماء صهيون، وصف اليهود كقوى ظلامية شيطانية تحاول تدمير العالم.

قبل 25 سنة تخلينا عن سيناء من اجل السلام مع مصر. اذا كانت مصر تحرص على مدى السنين على توسيع دائرة السلام مع الدول العربية المعتدلة، واذا كانت تغض الطرف عن تهريبات السلاح الى المنظمات الارهابية في غزة، واذا كانت تمنح حماس تأييدا دبلوماسيا وعسكريا خفيا، واذا كانت تُربي الجيل الشاب على كراهية اسرائيل، واذا كانت تنفق على زيادة القوة العسكرية إنفاقا عظيما وكلها موجهة الى امكانية مواجهة اسرائيل ـ فليس هذا هو السلام الذي أملنا به.

يوفال شتاينيتس
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2006/12/4

عاد الى نفس الاستراتيجية التي قدمها اسحق رابين الراحل في بدء التسعينيات

محاولة اولمرت إحياء المبادرة السعودية تعتبر دعوة للدول العربية للانضمام لحلف امريكا واسرائيل لمواجهة ايران وسورية وحزب الله

■ قدم رئيس الحكومة ايهود اولمرت، في خطبته في مراسيم ذكرى دافيد بن غوريون، غصن زيتون الى الفلسطينيين. لكن كان يوجد في هذه الخطبة اقتراح آخر للسلام، اقل بروزا لكنه اكثر اهمية: اقتراح على الدول العربية، التي دعاها الى ان تكون شريكات تامة مع اسرائيل والفلسطينيين في صنع السلام على اساس الاشياء «الايجابية» في خطة السلام السعودية من 2002.

تقترح الخطة السعودية التي صادقت عليها الدول العربية كلها بعد ذلك، على اسرائيل سلاما تاما، وتطبيعا للعلاقات وانهاء للنزاع مقابل انسحاب اسرائيلي من المناطق التي احتُلت في حرب الايام الستة. تجاهلتها اسرائيل والولايات المتحدة في الماضي، لانهما كانتا مشغولتين بمحاربة الارهاب.

تشير حقيقة ان اولمرت اختار الآن ان «يحيي» الخطة الى اعتراف متزايد في اسرائيل وفي واشنطن، بأن الشرق الاوسط دخل فترة جديدة قتالة، تتميز بقتال لغُلاة، وفشل سياسي، وسباق تسلح نووي ممكن، وقلة التأثير الامريكي وجهد ايران سورية وحزب الله لاحراز الغلبة في العالم العربي.

لاحظت الولايات المتحدة واسرائيل منذ زمن تهديدا مشتركا لهما من قبل ايران في سعيها الى السلاح النووي والغطاء الذي تمنحه للارهاب، وهما تعملان متلازمتين لمحاربته. لكن في العهد الجديد هذا، تنضم اليهما دول وقادة عرب (العربية السعودية وشريكاتها من الامارات العربية، ومصر، والاردن، ورئيس حكومة لبنان فؤاد السنيورة ورئيس السلطة الفلسطينية، ابو مازن)، وهم ايضا قلقون جدا من تطورات محور ايران ـ سورية ـ حزب الله. تتخوف هذه الدول من المطامح الذرية لايران وتعارض تدخل ايران في شؤونها الداخلية.

والقادة قلقون للشعبية المتزايدة لرئيس ايران محمود احمدي نجاد وحسن نصر الله في الدول التي يسيطرون عليها. انهم لا يستطيعون الموافقة على غلبة ايران في المنطقة، ولا على قبول وصفتها للعنف والارهاب كسبيل لتغيير الشرق الاوسط.

السؤال الملح الذي تواجهه الولايات المتحدة واسرائيل في هذه المدة الجديدة هو هل تستطيعان ان تجدا قاسما مشتركا مع هذه الدول العربية، التي تهددها المسيرة الايرانية نحو الحصول على الغلبة في المنطقة. سيكون هذا مدار النقاشات التي ستُجرى في الاسبوع القادم في واشنطن، في «حلقة سبان» بين مسؤولين كبار ومختصين امريكيين واسرائيليين.

هذا هو ايضا السياق الذي يجب ان يُفهم فيه اقتراح اولمرت على الدول العربية. الاستراتيجية الفعالة الوحيدة في وجه تحدي محور ايران ـ سورية ـ حزب الله هي عقد حلف لدول وقادة معتدلين، ذوي تصور متشابه، يشتمل على الولايات المتحدة، واسرائيل والدول العربية هذه. وهذه بالضبط الاستراتيجية التي قدمها اسحق رابين الراحل في بدء التسعينيات، عندما زعم ان المصلحة الاسرائيلية هي في العمل مع الولايات المتحدة لاحراز سلام مع الدائرة الداخلية للدول العربية المجاورة، والفلسطينيين في الاساس، لمحاربة التهديد الاكبر ـ ايران، في الدائرة الخارجية.

ان ما كان صحيحا آنذاك، اصبح اكثر صحة اليوم.

إن اولئك الذين يشغلون انفسهم بالتحذير من ان واشنطن توشك ان تضحي بمصالح اسرائيل على مذبح مقاربتها ايران او سورية، تفوتهم اللعبة الحقيقية التي قد ابتدأت ـ بناء حلف وهمي بين اسرائيل والدول العربية ـ مصر، والاردن، والعربية السعودية وامارات الخليج ـ التي تتألف في جهد مشترك لحل المشكلة الفلسطينية.

مارتين ايندييك
سفير الولايات المتحدة في اسرائيل سابقا
ومدير مركز «سبان» لسياسة الشرق الاوسط
في معهد بروكينغز في واشنطن
(يديعوت احرونوت) 2006/12/4

متخذو القرارات في اسرائيل يبثون التهديدات غير الصريحة ويمتنعون عن التعامل بطريقة عقلانية في قضية الذرة الايرانية

■ ينقض الساسة في اسرائيل على التهديد الايراني في لذة كبيرة وبعيون براقة. لقد واتتهم فرصة أن يبدوا مثل تشرتشليين، حازمين تاريخيين، ولن يتخلوا عنها بسهولة. لا يوجد حد للامكانات التي يفتحها هذا التهديد. يمكن تحذير العالم من أن درس الحرب العالمية الثانية لم يُحصل، والتمدح بتهديدات عسكرية موجهة الى طهران، وفي الوقت نفسه التنبؤ بنهاية الصهيونية والتحذير من الابادة المضمونة.

تنبع هذه الموجة الخطابية من ان الحكومة الحالية أهملت السياسة الحذرة لحكومات شارون. لم يُرد رئيس الحكومة السابق أن يلاحظ العالم المشكلة الايرانية مع اسرائيل. لقد تخوف من أن هذه الملاحظة ستبعد امكانية هجمة دولية منسقة متفق عليها، وتخوف أكثر من أنه اذا أعلنت اسرائيل عن نوايا عسكرية، فستفضل اوروبا والولايات المتحدة ان تُخرج من اجلهما الكستناء من النار. حطمت المعركة السياسية الحالية هذا الخط، والاسوأ من ذلك انها تحاول (ويبدو انها ستنجح ايضا في) إدخال الجمهور الاسرائيلي في خوف حقيقي. يطلق متخذو القرارات تهديدات مُلمحا بها وأنصاف اشياء، لكنهم يمتنعون تماما عن الأخذ بطريقة ذكية عقلانية. واضح انه لا يوجد في توجه كهذا مكسب سياسي من الفور.

الادعاء الاول الذي يحتاج علاجا هو الخوف من الابادة. لم يكن أفراد شجعان من الحياة العامة ليحذرونا من أن الوضع يشبه اوروبا في 1938، بل يُبينون أن اسرائيل تواجه خطر القضاء عليها منذ أكثر من خمسين سنة. التحدي الوجودي ليس شيئا جديدا على الاسرائيليين، ولست أخال التهديد الذري سيغير ذلك. يمكن أن نأخذ على سبيل المثال تايوان.

لا تعترف الصين بحقها في الوجود دول العالم بهذه القضية، وتمتلك مخزونا عسكريا وذريا عظيما، وتهدد من آن لآخر «الاقليم المتمرد»، كما تسمي الجزيرة، لكن تايوان باقية نامية برغم كل شيء. يوجد فرق كبير واحد بين الدولتين: فتايوان لا تملك قدرة ذرية عسكرية، واسرائيل ليست تملك فقط قدرة كهذه، بحسب نشرات اجنبية، بل تملك ايضا القدرة على الضربة الثانية.

الادعاء الفاشل الثاني هو ذلك الذي يدعو الى هجوم عسكري اسرائيلي. الفشل مضاعف هنا. اولا، يمكن جدا أن تضطر اسرائيل الى المبادرة الى ضربة ردعية جوية، لكن كل كلام معلن يضر بهذا الامكان. والى ذلك يوجد اتفاق تام في الجهاز السياسي على أنه اذا لم يعمل العالم، ولم تساعد العقوبات، فان على اسرائيل أن تعمل عسكريا ـ مع افتراض وجود خيار عسكري فعال في مستوى معقول عال. لا يوجد اختلاف في هذه القضية بين نتنياهو، واولمرت وبيرتس أو ليبرمان. اذا كان يوجد اتفاق كهذا، فلماذا يتكلم الساسة، في الأساس مع معرفتهم أن هذا يضر بالمصلحة الاسرائيلية؟ الجواب بسيط: انهم لا يملكون أنفسهم.

المشكلة الثالثة هي الامتناع عن نقاش التقدير، الذي أصبح يُسمع في أحاديث مع اشخاص في اوروبا والولايات المتحدة ـ انه قد يكون من غير الممكن وقف الايرانيين في السباق نحو القنبلة. انهم يملكون العلم، ومستعدون لتحمل العقوبات، وبنية برنامجهم النووي تُضعف جدا احتمال هجمة عسكرية فعالة. تقول تلك الجهات إن اجراء عسكريا سيشعل الشرق الاوسط فقط ويؤجل القنبلة الايرانية الى ما لا يزيد على سنتين. هذا تقدير متشائم جدا وقد يكون خاطئا تماما، لكن من الواجب الاستعداد لامكان أن يتبين صحيحا. في الحقيقة أن هذا أقل اجتذابا من خطابات حاسمة أمام آلاف اليهود الامريكيين، لكنه ضروري أكثر.

نداف إيال
كاتب في الصحيفة
(معاريف) 2006/12/4

التوتر في لبنان يهدد الانجاز الوحيد الذي سجلته اسرائيل لنفسها في الحرب

■ ليس غريبا ان تتابع اسرائيل بقلق ما يحدث في بيروت في الايام الأخيرة لان الضغط الذي يستعمله حزب الله وسورية على حكومة السنيورة قد يُسقطها ويفرض على لبنان حربا أهلية من جديد.

التوتر في لبنان يهدد ايضا الانجاز الكبير الوحيد الذي سجلته اسرائيل لنفسها في الحرب في الصيف الأخير. اذا سقطت حكومة السنيورة أو اذا طُلب من القائد السني تنازلات لمصلحة السوريين وحلفائهم، فان التسوية التي تم الحصول عليها على امتداد الحدود مع اسرائيل ايضا ستكون في خطر.

في غضون الاشهر الأخيرة، بحيال النقد المتزايد للجمهور على الأداء المختل للمستوى السياسي والعسكري في الحرب، كان لناطقي حكومة اولمرت جواب واحد: لقد زعموا أن الواقع في الميدان، هو الذي سيحكم علينا. وهنا، رغم الاختلالات الكثيرة التي سجلت على امتداد الطريق، امتلك رئيس الحكومة دعوى مقنعة. في نهاية الحرب، أُبعدت مواقع حزب الله عن الحدود مع اسرائيل ونشرت قوة دولية في الجانب الشمالي.

الحديث في الحقيقة عن نجاحات حصلت عليها اسرائيل بعد اسبوع من القتال. اسبوع كان يمكن انهاؤه بهجمة جوية فقط من غير احتمال خسائر للقوات البرية، لو استجابت اسرائيل لمقترحات الوساطة التي طُرحت. ومع كل ذلك، كان يوجد هنا في ظاهر الأمر انجاز ملموس.

ولكن الآن استقرار التسوية التي صيغت بالقرار 1701 الصادر عن مجلس الأمن مشكوك فيه ايضا. اذا قرر حزب الله من الذي يُقيم الحكومة القادمة في لبنان، وحتى لو خرج السنيورة من الازمة رئيسا للحكومة يتولى عمله لكنه ضعيف، فان مقدار تعاون بيروت مع اليونيفيل سيحدد جدا. بعد نحو اربعة اشهر من وقف اطلاق النار ما يزال الجنديان المختطفان اللذان خرجت اسرائيل الى المعركة من اجلهما لم يعودا، بل لا توجد علامة على حياتهما. جُددت تهريبات السلاح من سورية الى حزب الله، على حسب «أمان»، وتجري بكامل القوة. يُعاد بناء جنوبي لبنان بأموال ايرانية ويتجول أفراد حزب الله هناك بلا عائق. يصعب أن نرى الجنود الاوروبيين يصُرون على البقاء في الجنوب، اذا ما ألح اليهم حسن نصر الله بأنه ينوي أن يقوم بهجوم عمليات عليهم كما فعلت منظمته ضد القوات الامريكية والفرنسية في 1983.

كل ما ينقص اولمرت الآن هو ان يقرر حزب الله اقامة موقع أول من جديد على الحدود من اجل تحدي اسرائيل.

«أشارت لجنة فينوغراد الى حلوتس»

التطورات أقل إشغالا للجنة فينوغراد، الغارقة في التحقيق في قرارات بدء الحرب والسنوات الست من ضبط النفس التي سبقتها. ثار عند بعض الضباط الذين شهدوا في اللجنة، انطباع في هذه المرحلة المتقدمة، بأنها أشارت لنفسها الى غاية واضحة ـ والحديث عن رأس رئيس الاركان، دان حلوتس. يقول الضباط ان جزءا من اعضاء اللجنة على الأقل يأتون الى النقاشات مع تصور واضح، ويحاضرون بموقفهم أكثر من ترقبهم استماع إجابات الاسئلة. النغمة التي تصدر عن الاقوال هي أن الجيش أوصي على نحو متسرع بالخروج الى الحرب، من غير ان يُعد وحداته كالمطلوب، ومن غير أن يُعلم طريق الخروج. مضى المستوى المدني أسيرا وراء الأمن الذي أظهره المستوى العسكري ولهذا سيكون رئيس الاركان أول من سيدفع الثمن، في نشرة جديدة من تقرير أغرينات.

يُفاجأ من يلتقي ضباطا كبارا في هذه الايام لا فقط من دفتر التسجيل الصغير المطلق فيما يتعلق بالقرارات قبل الحرب وفي اثنائها، بل بمستوى العداء الذي يوحي به بعضهم نحو زملائهم. الصداقة المفقودة، التي تحدث عنها قائد منطقة الشمال أودي أدام عندما استقال، لم يُعد بناؤها. سينضم غدا الى أدام العميد غال هيرش، الذي سينهي ولايته في الفرقة 91، وصرح برسالة الى حلوتس برغبته في الاستقالة. لكن هذا انضمام مشروط، لان هيرش ينتظر حسم رئيس الاركان الذي وعد بصياغته حتى نهاية الاسبوع المقبل. وكما هي الحال عند فينوغراد، يثير تقرير اللواء (احتياط) دورون الموغ في قضية الاختطاف غير قليل من الخصومات القديمة من مكامنها. بل ان بعض آلوية الجيش اتهموا الموغ بأنه يصفي حسابات مفتوحة معهم عندما كان عضوا في هيئة القيادة العامة. ان استعداد الموغ للاستجابة لاقتراح حلوتس إلغاء التوصية باعطاء ملاحظات قيادية لثلاثة من آلوية الجيش، يترك هيرش مسؤولا وحيدا عن الاختطاف. ما يزال رئيس الاركان يبحث عن حل لذلك، قد يكون على هيئة إلغاء قرار عزل هيرش عن القيادة ـ وهي خطوة قد تُبقي هيرش في صفوف الجيش الاسرائيلي.

ولكن اذا ما اجتاز حلوتس هذا العائق ايضا، فسيُحتاج الى نقاش إدراج ثلاثة من قادة الفرق الآخرين من الحرب، الذين جمد وزير الدفاع عمير بيرتس تعيينهم. في حين تُرح اختلالات الفرقة 91 (في تحقيقات الموغ ويورام يئير) في العناوين الرئيسية، ما زال الجيش الاسرائيلي لم يُسلم تفصيلات عن تحقيقات الفرق الاخرى. ثلاثة اشهر من التحقيقات ـ وما تزال نهاية هذه القصة المعوجة غير لائحة في الأفق.

عاموس هرئيل
مراسل عسكري في الصحيفة
(هآرتس) 2006/12/4

الفلسطينيون وحدهم يستطيعون إظهار صدق اولمرت في زعمه بخصوص منحهم مناطق واسعة مقابل تخليهم عن حق العودة

■ اعتاد دافيد بن غوريون ان يوشي عبارته المشهورة «الامم المتحدة خاوية» بملاحظة فحواها «انه من غير المهم ما يقوله الاغيار، بل ما يفعله اليهود». قلب ايهود اولمرت الامور رأسا على عقب.

فقد تحدث وتحدث على قبر رئيس الحكومة الاول، وطلب من العرب ان يفعلوا ويفعلوا. لقد تكلم عن انسحاب من «مناطق كثيرة»، وعن دولة فلسطينية مستقلة مع امتداد جغرافي، وتكلم بالطبع عن السلام والاخوة. لكن من اجل ان يعرف الاغيار ما الذي يكمن وراء كلمات اليهود الجميلة، عليهم ان يدفعوا بالافعال اولا. من اجل ان يوافق المحامي اولمرت على ابتداء التفاوض في العقارات يطلب الحصول على سلفة نقدية: تبديل الحكومة الفلسطينية المنتخبة، واطلاق جلعاد شليط والحرص على اقامة وقف لاطلاق النار.

اذا كان يوجد معنى لكلمات اولمرت، فان الرجل الذي تمرد على زعيمه، مناحيم بيغن، ورفع يده معارضا اتفاق كامب ديفيد الاول، قد جرى عليه تحول ايديولوجي عميق. في حزيران (يونيو) من العام الماضي، بعد ان دفع اريئيل شارون الى خطة الانفصال، قصف اولمرت اعضاء حلقة سياسة اسرائيل (آي.بي.اف) الذين اجتمعوا في نيويورك، بكلمات مصالحة. «تعبنا من القتال، تعبنا من كوننا شجعانا، وتعبنا من الانتصار، وتعبنا من اخضاع اعدائنا»، قال القائم باعمال رئيس الحكومة. واختتم اقواله باعلان استقلال: «ادركنا اننا غير مُحتاجين الى الولايات المتحدة لتقود المسيرة في الشرق الاوسط، سنقودها نحن».

قد يكون كل شيء آنذاك، كما هو اليوم، اقوالا وحيلا دعائية. وقد تكون خطبة سديه بوكير قد وجهت الى مسامع جورج بوش والاغيار في اوروبا. يصعب ان نرفض التفسير الذي يقول ان رئيس الحكومة حسد اسلافه على كونهم دُررا نفيسة، واراد ان يمتلك قلب الاعلام. إن جواب سؤال (هل يوافق باطن اولمرت ظاهره) موجود في جيب الفلسطينيين. يستطيعون ان يفعلوا ما فعل صديقه، ايهود باراك بياسر عرفات، اي «ان يكشف عن الوجه الحقيقي» للجار.

يستطيع الفلسطينيون فقط ان يضطروا اولمرت الى الكشف عن اوراق اللعب وبيان ما معنى «مناطق كثيرة». اذا لم نصل الى طاولة التفاوض فلن نعلم البتة هل مضى رئيس الحكومة في طريق طويل نحو الفلسطينيين فيما يتعلق ايضا بقضية اللاجئين الحساسة جدا: هل هو يكتفي في الحقيقة، كما قال على قبر الشيخ، بتنازل الفلسطينيين عن تحقيق حق العودة في حدود اسرائيل، لا عن الحق نفسه؟.

تحدث رئيس الحكومة اسحق شامير ايضا بلغة رفيعة عن السلام، لكنه اشترط موافقته على المشاركة في المؤتمر الدولي الذي عُقد في 1991 في مدريد، بمشاركة جميع الجارات. لقد قامر على ان الرئيس حافظ الاسد سيرفض دعوة وزير الخارجية الامريكي جيمس بيكر ولم يصدق ان عرفات سيكتفي بوفد مؤلف من مفوضين من المناطق. برهن العرب لشامير على انه لا يمكن الاعتماد عليهم، ووجد نفسه يتفاوض على الجولان وفي اتصالات غير مباشرة بمنظمة التحرير الفلسطينية. كانت تلك بداية النهاية لارض اسرائيل الكاملة.

من الصحيح ومن المحق ايضا ان نقول ان المحتل الاسرائيلي هو الذي يستطيع وهو الذي يجب عليه ايضا ان يبرهن بالاعمال، بأن كلامه يوافق ما في قلبه. اجل، من المؤسف ان الحكومة التي يجلس فيها نشطاء سلام في الماضي تكشف عن الكثير جدا من التبلد الآثم نحو سكان مدنيين كثيرين جدا ولا تحرص ايضا على الوفاء بالاتفاقات. لكن هذا ما يوجد. مع ذلك يجب على الفلسطينيين ان يحلوا لغز اولمرت. لن يوسخ الاصدقاء الاوروبيون، ولن نتحدث عن الرئيس بوش، ايديهم من اجلهم في مصادمة اسرائيل بسبب «شروط الرباعية». اذا لم يفرض سكان المناطق على حكومتهم ان تفي بهذه الشروط وان تطلق سراح شليط ايضا، فلن يفعل ذلك احد من اجلهم.

ان الخطر الآخذ في الازدياد لسيطرة غُلاة الاسلام على الشرق الاوسط والحاجة الملحة الى تعزيز الائتلاف البراغماتي يمنحان تسوية مع الفلسطينيين اهمية كبيرة. هذه فرصة رائعة لامساك اولمرت بكلمته.

عكيفا الدار
المراسل السياسي للصحيفة
(هآرتس) 2006/12/4